أحسن القصص
سيرة الأنبياء (عليهم السلام)



قصّة سيدنا عزير (عليه السلام)

عودة الروح

كمال السيد

مات سليمان (عليه السلام) وجاء بعده انبياء، ولكن اليهود كانوا يبتعدون عن دين الله يوماً بعد يوم.

تضاعف حبّهم للذهب والمال، وعادت الروح الوثنية الى نفوسهم من جديد، حرّفوا تعاليم التوراة.

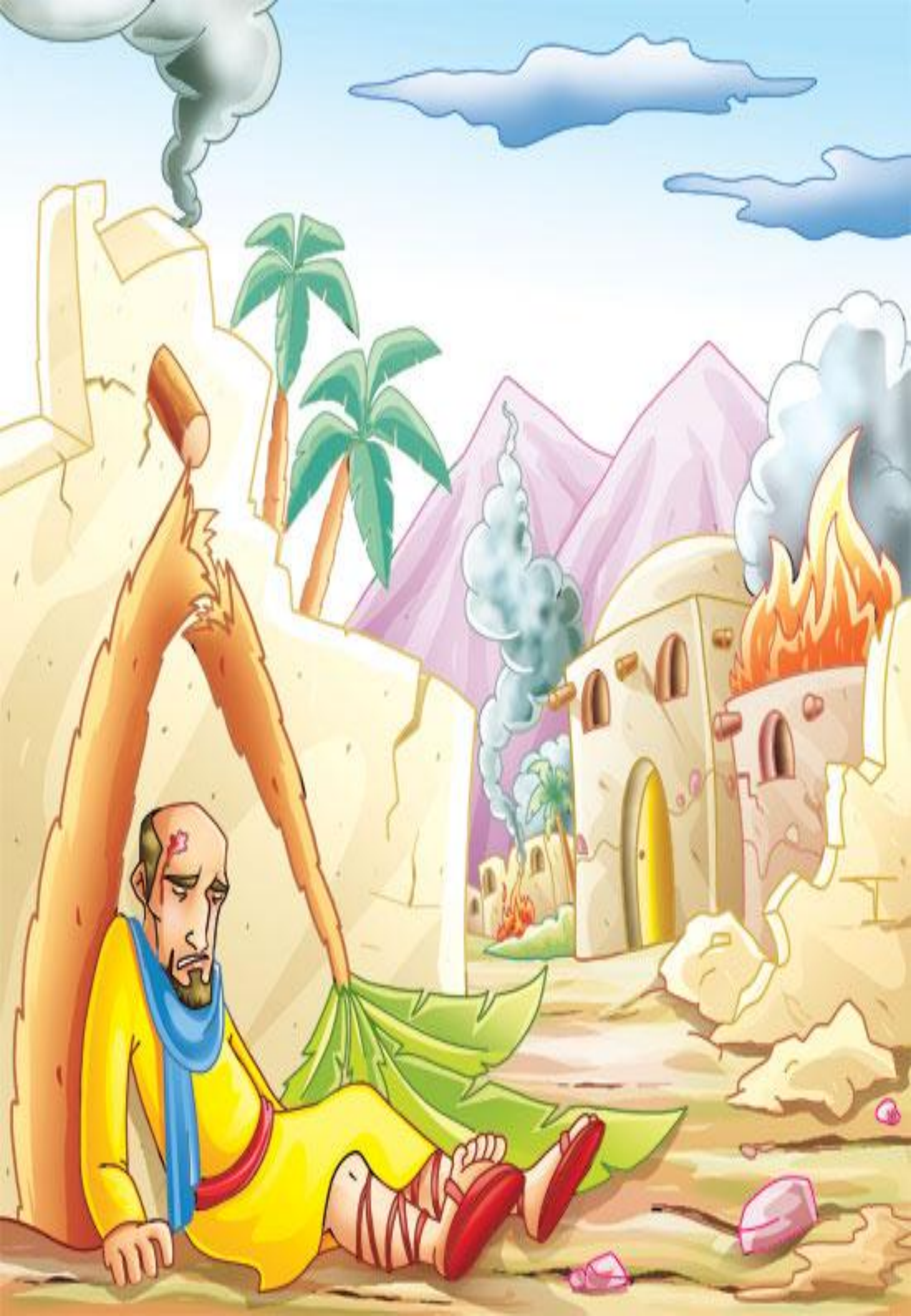
من أجل هذا ضعفت روحهم القتالية، وأصبحوا يخافون الموت، ويحرصون على الحياة.

وقبل حوالي (550) سنة قبل ميلاد سيدنا المسيح (عليه السلام) كان ملك ظالم يحكم بابل اسمه بخت نصر.

أغار بخت نصر على بلاد اليهود، وسقطت عاصمتهم «أورشليم» وراح يقتل ويقتل، ويدّمر البلاد ويحرق الكتب المقدسة وفي طليعتها التوراة، كما خرّب الهيكل الذي يقدسه اليهود.

وعندما عاد بخت نصر الى بابل سبى معه اليهود.

ظلّ اليهود في بابل مئة عام تقريباً وفي تلك الفترة ولد سيدنا عزير (عليه السلام).



اندلعت الحرب بين بابل وفارس، وانتصر كورش ملك فارس في الحرب ودخل بابل فاتحاً.

تعرّف كورش على العزير فاحبّه لأخلاقه وأدبه، وذات يوم تقدّم العزير إلى كورش وطلب منه أن يسمح لليهود بالعودة الى بلادهم وأن يسمح له بكتابة التوراة التي ضاعت نسخها.

وهكذا عاد اليهود الى بلادهم، فاحبّوا العزير كثيراً.

انصرف العزير الى جمع التوراة من جديد وانفق في ذلك سنين طويلة.



الى البستان:

كانت لسيدنا عزير بساتين خارج القرية، كان عزير يعمل بيديه مثل سائر الانبياء.

هو يعمل في الأرض، يحرث، ويسقي الزرع ويجني الثمار كان يراقب الاشجار ويشذب الأغصان.

وكان لعزير (عليه السلام) حمار يستخدمه في ذهابه الى البستان وعودته.

كان يرعى حيوانه ويشفق عليه فلم يضربه بسوط أو عصا وكان يحبّ الناس ويعطف عليهم ينصحهم ويعِظَم ويعلمهم الشريعة والتوراة واسلوب الحياة..

كان ذلك اليوم شديد الحرّ عندما ركب سيدنا عزير حماره وتوجه الى البستان، لم يكن البستان قريباً كان بعيداً والطريق الذي يمتد اليه يمرّ بخرائب مدينة مندثرة ومقابر قديمة مبعثرة، الهواء كان منعشاً في الصباح، وكانت نسمات طيبة تهبّ من الحقول الخضراء.

مضى الحمار يشق طريقه وسط المزارع الخضراء، حتى وصل الطريق الترابي الذي يمرّ بخرائب المدينة المندثرة والمقابر القديمة.

ارتفعت الشمس في السماء وراحت ترسل اشعتها اللاهبة ولاحت خرائب المدينة، المنازل مهدمة، والحجارة مبعثرة هنا وهناك، وفي جانب آخر كانت المقبرة هي الأخرى خربة، وبعض العظام كانت مبعثرة.



نزل عزير عن حماره، وجلس في ظل شجرة برّية. كان جائعاً ومتعباً أخرج كسرة خبز وعنباً، عصر عنقود العنب في آنية صغيرة، وراح يغمس فيها كسرات الخبز الصغيرة. وتركها لتنقع قليلاً حتى يسهل تناولها.

راح يجيل بصره في القبور وفي خرائب المدينة والعظام البالية.

لقد مرّت عشرات السنين والرياح تهبّ وتعصف في هذه الخرائب والقبور، والشمس ترسل اشعتها اللاهبة في فصول الصيف والمطر والثلوج في الشتاء يزيد في الخراب..

كيف تعود الحياة الى هؤلاء الذي ماتوا منذ مئات السنين؟!

قال عزير في نفسه وقد ملأت قدرة الله نفسه وقلبه:

{انّى يُحيى هذه اللهُ بعد موتها}؟!

شعر عزير بالنعاس يُثقل جفنيه وأغمض عينيه قبل أن يتناول طعامه.

الحمار أيضاً كان قد تناول قليلاً من العشب، واخلد الى النوم.

وحدث شيء مدهش، عزير لم يستيقظ، حل المساء وعزير لا يستيقظ.. لقد مات.. ومات حماره أيضاً.



وتمر الأيام:

مرّت الأيام والاسابيع، لم يرجع عزير الى قريته، خرج ابناؤه يبحثون عنه ولكن أحداً لم يعثر عليه، ذهبوا الى البستان، ولكن لا فائدة.

وبمرور الأيام نسي الناس عزيراً ولم يعد يذكره أحد، مرّت الشهور، والأعوام، وعزير في مكانه في ظل الشجرة ميت، وحماره ميت.

أصبح الحمار هيكلاً من العظام، تبعثرت العظام، وأصبح بعضها مثل التراب.

ولكن العجيب ان عصير العنب ما يزال كما هو لم يتأثر بمرور عشرات السنين.

مات ابناء عزير وكبر أحفاده.

مرّت على حادثة اختفاءه مئة عام.

لم يبق من الذين يذكرون عزيراً سوى امرأة عجوز كان عمرها عندما اختفى عزير عشرين سنة، اما الآن فعمرها مئة وعشرون عاماً



عودة الروح:

وذات يوم تجّمعت في السماء الغيوم، واشتعلت البروق وجلجلت الرعود.. وأمطرت السماء.

وفي لحظة اختارها الله رحمة لعباده هبط الملاك جبريل عند الشجرة بين خرائب المدينة المندثرة، والمقبرة القديمة. عادت الروح الى عزير..

استيقظ، عادت أنفاسه تتردد من جديد بعد أن مات قبل مئة عام.

استيقظ عزير من نومته.. المكان مغمور بالنور، وصوت ملائكي يقول:

كم من الوقت نمت يا عزير؟

أجاب عزير وهو يفرك عينيه:

نمت يوماً أو جزءً من اليوم!

قال الملاك:

بل مئة عام!!

مئة عام؟!

نعم، وشاء الله أن يعيد اليك الحياة.. ليجعل منك آية للذين ينكرون البعث والمعاد..

انظر يا عزير الى طعامك.. انه لم يفسد بالرغم من عشرات السنين التي مرّت!!

ان بدنك يا عزير ظل على حاله لم يتغير.. لقد حفظه الله.



ثم قال الملاك الى عزير:

انظر الى حمارك.

نظر عزير الى حماره فرآه قد استحال الى عظام بالية متناثرة بعضها اختلط مع التراب..

انظر يا عزير كيف سيعيد الله سبحانه الحياة للحمار؟!

كان عزير يراقب مدهوشاً ما يجري..

العظام البالية تتجمع من جديد لتؤلف هيكلاً عظيماً للحمار..

ثم نبت اللحم وظهرت العروق!!

ونبت الجلد!! وعاد الشعر..

بدا الحمار ميتاً قبل لحظات.. عادت أنفاسه مرّة أخرى!!

فجأة نهض الحمار، وراح يطلق نهيقاً عالياً، وانطلق يبحث عن العشب.

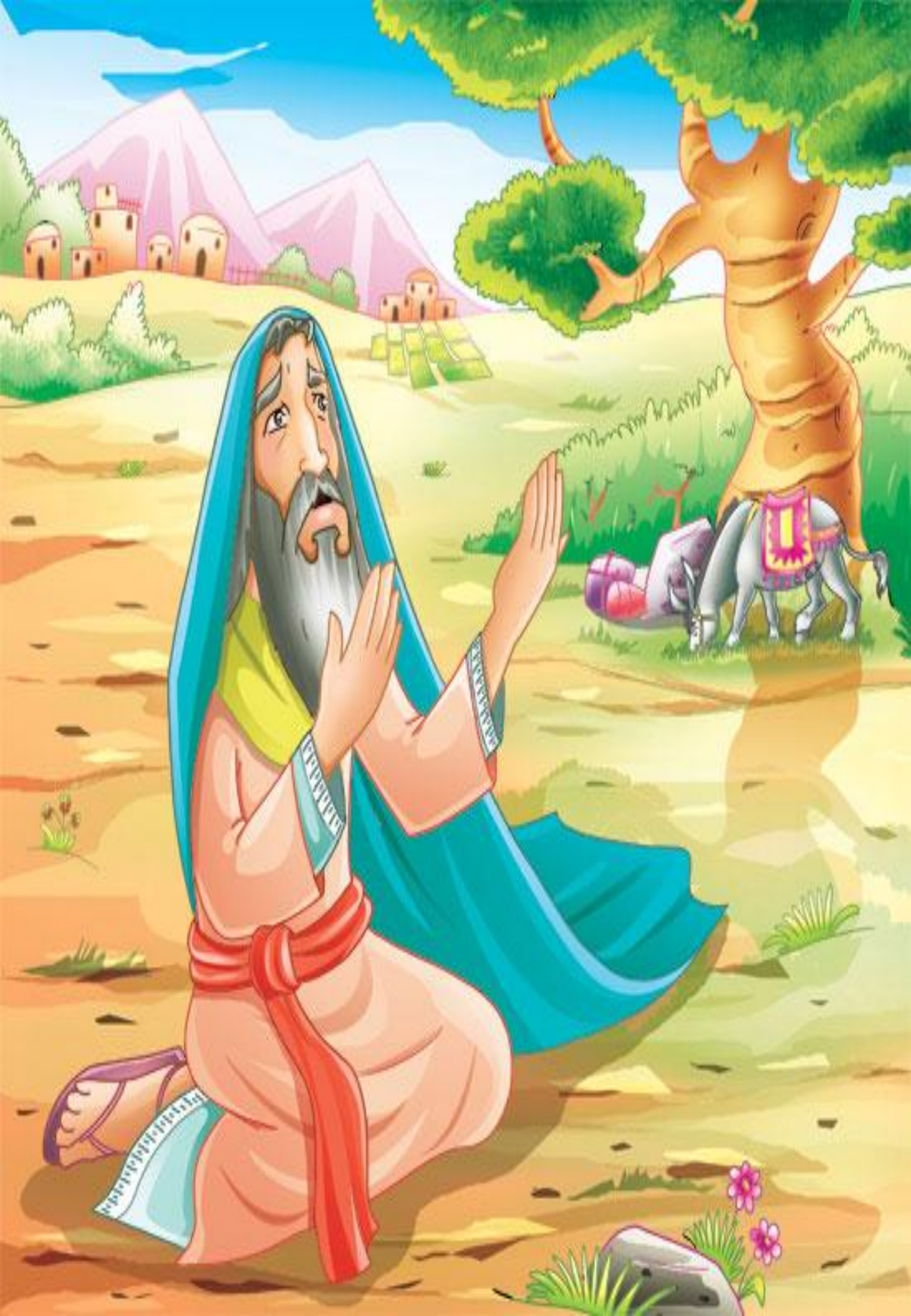


وهتف عزير من اعماقه:

الله أكبر.. أعلم ان الله على كل شيء قدير!!

كل شيء بأمر الله. الله قادر على كل شيء، يحيي ويميت واستغرق عزير في صلاة خاشعة كان يبكي حبّاً لله وشوقاً اليه.

وتناول عزير لقمات من طعامه، وكان متأثراً بشدّة، فطعامه ظل طازجاً كل هذه السنين، لم يتغير طعمه أبداً.. ان عصير العنب الذي يتغير طعمه في عدّة ساعات من الحرّ الشديد، ظل يقاوم تقلبات الزمن مدّة قرن كامل!!



العودة:

نهض عزير واعتلى ظهر حماره، عائداً الى قريته.

ان الحمار ولا شك لا يدرك ما حدث أنه لم ينسَ الطريق المؤدية الى القرية..

من بعيد لاحت القرية، ولكن عزيراً ظنّها قرية أخرى! كل شيء تغير، أشكال الناس، ازياؤهم، منازلهم.

لم يكن هناك من منزل لعزير لكي يتوجه اليه!

كان عزير قد تحول الى حكاية يرويها الآباء للأبناء:

(عزير الرجل الطيب النبي التقي ذهب الى بستانه في يوم قائظ، ولكنه لم بعد.. لم يعثر عليه أحد.. كأن الارض قد بلعته!!

عزير وحده يعرف التوراة.. لقد ضاعت التوراة، وهو جمعها من جديد.. هو وحده عنده نسخة من التوراة الاصلية.. التوراة كما أنزلها الله على موسى)!

وقف عزير في وسط القرية ليعلن قائلاً:

يا أهل قريتي! أنا عزير.. أنا عزير الذي اختفى قبل مئة عام!

اجتمع أهل القرية ليروا رجلاً عليه مسحة من الوقار والنور.. رجلاً في الخمسين من عمره.

سخر البعض وظنّوا أن هذا الرجل مجنون.. حتى لو عاد عزير فانه يعود شيئاً في مئة وخمسين من العمر! أما هذا الرجل فهوما يزال كهلاً في الخمسين!



قال عزير:

دلّوني على ابنائي.

قال أحدهم:

لقد مات ابناء عزير منذ سنوات طويلة.

قال عزير:

وأحفادي؟؟ دلّوني على أحفادي.

قال رجل في السبعين من عمره:

يوجد رجل من أحفاد عزير في الستين من عمره.

قال عزير:

خذوني اليه.

عندما التقى الجدّ والحفيد كانت الدهشة ترتسم على وجهيهما معاً!

قال الحفيد:

كيف تكون جدّي وأنت تبدو أصغر مني كثيراً؟!

قال عزير:

انها معجزة الله ليرينا جميعاً أن الله الذي خلق الانسان قادر على بعثه اذا مات واستحال الى عظام.

وجلس عزير في بيت حفيده وراح يروي قصّته المثيرة:

حدّثهم عن ذهابه الى بستانه خارج القرية..

عن سلّتيه اللتين ملأهما عنباً..

عن توجهه الى خرائب المدينة القديمة..

كيف عصر له عنباً وكيف نام وكيف امتدت نومته الى مئة عام..

لقد مات ومات حماره ولكن الله بعثه ليجعله آية للجميع.



في الأثناء جاءت امرأة عجوز تبلغ من العمر مئة وعشرين سنة، وهي الشاهد الوحيد الذي يعرف عزيراً لقد كانت في العشرين من العمر يومذاك. جاءت تتوكأ على عصا وتقول:

من هذا الذي يذكر عزيراً وقد نسيه الناس؟!

سمعت عزيراً يتحدث تذكرت نبرات صوته ولكنها لم تر وجهه لقد فقدت بصرها منذ سنين بعيدة قالت:

لوكنت أبصر لعرفت حقيقة هذا الرجل.

لقد كان العزير وجيهاً عند الله، تضرع الى ربّه ودعا أن تبصر المرأة لتشهد له..

الله سبحانه أعاد بصرها.. فتحت عينيها لترى نفسها وجهاً لوجه أمام عزير!

يا للدهشة.. انه عزير بدمه ولحمه.. عزير الذي اختفى قبل مئة عام!



قال الحفيد:

لقد أخبرني أبي أن عزيراً يعرف مكان التوراة.. لقد وضعها في مكان لا يعرفه أحد.

لقد بحثنا كثيراً ولكن لا فائدة.. لقد بحثنا عنها لأن كل النسخ الأخرى ضاعت في الحروب.

قال عزير:

سأدلكم على كتاب موسى.. انه هناك في جذع شجرة زيتون.

انطلق الجميع الى المكان.. رأوا شجرة زيتون قديمة.

كانت الاعشاب قد نبتت، توجه عزير الى مكان بين الشجرة والجدول القريب، راح يحفر ويحفر الى أن عثر على صندوق خشبي.

كان الصندوق قد تسوس كثيراً، ولكن نسخة التوراة ما تزال صحيحة سالمة.

وآمن الجميع بالمعجزة لقد عاد عزير حقاً.. بعد أن اختفى وأصبح حكاية.. بعد أن مات مئة عام ثم بعثه الله ليجعله آية لعباده على قدرة الله في بعث الموتى وحشرهم يوم القيامة.

البعض آمن بالمعجزة، لان قلبه.. عرف ان الموت حق وأن البعث حق.. وأن الله قادر على كل شيء وهمس البعض:

عزير ابن الله!!

البعض صدّق ذلك والبعض سكت راضياً..

وهتف عزير منددأ:

انا عبد الله ورسوله.. لقد جعلني آية لكم..

وضاع صوته مع بين اصوات اليهود وهم يشيعون: «ان عزيراً ابن الله».

قالوا ذلك لأنهم يريدون ان يعبدوا شيئاً يرونه بأعينهم.

ومات عزير، رحل عن تلك الدينا.. امّا اليهود فقد صنعوا منه اسطورة الابن الالهي..

وعندما بعث الله سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رسولاً جاءنا بالحقيقة الكبرى ان عزيراً مات مئة عام ثم بعثه الله.

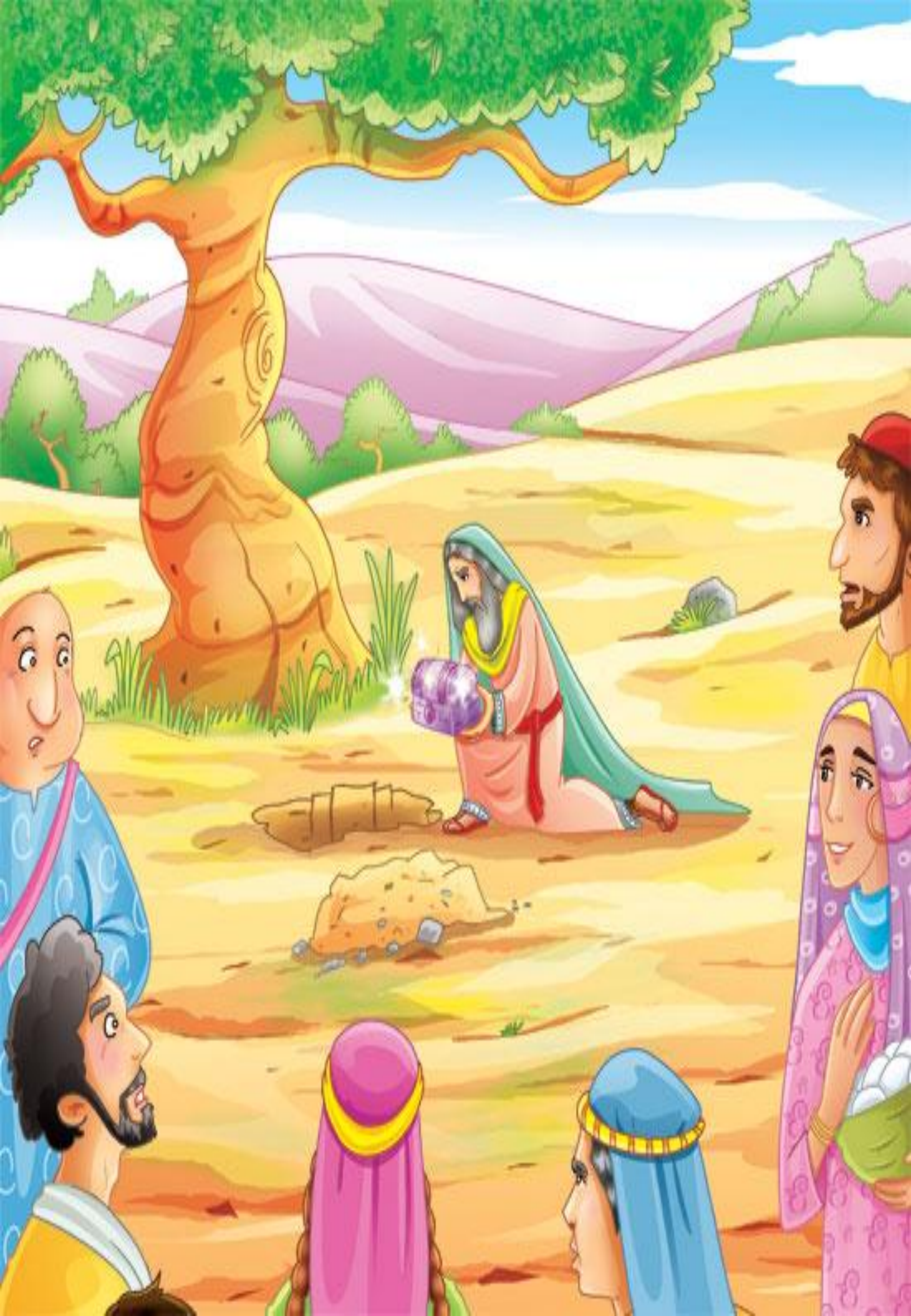
عزير نبي من انبياء الله ورسول من رسله جعله الله مثالاً لمعجزة البعث، ليصدّق الناس بيوم المعاد ويؤمنوا بيوم القيامة.

لم يحفظ اليهود الأمانة، انحرفوا عن الطريق، قست قلوبهم اصبحت مثل الصخور.. ابتعدوا عن روح الايمان..

وفي سنة 161 قبل الميلاد هاجم الروماني «انطيوكيوس» حاكم سوريا بلادهم، وأحرق نسخ التوراة..

وهكذا ضاعت التوراة الحقيقية.. التوراة التي جاء بها موسى، وعانى عزير في جمعها مرّة أخرى وصيانتها من التحريف.

سلام على عزير نبي الله ورسوله ومعجزته.



النهاية

قصّة سيدنا عزير (عليه السلام)

المصدر: موقع رافد